

Sheikh Hamza Boukousha Al-Jazaery (1907-1975) His life and Reformist Path According to the Testimony of His Nephew, Souhib chennouf

Dr. Abdelhamid Largot¹, Dr. Souhib Chennouf²

¹Doctor, Ecole Normale Supérieure de Ouargla, (Algeria)

Email: largot.abdelhamid@ens-ouargla.dz

²Doctor, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of El Oued, (Algeria)

Email: souhib0509@gmail.com

Received:05/10/2024, Accepted: 09/12/2024, Published: 31/12/2024

Abstract:

The southeastern region, especially Wadi Souf, has been famous throughout its modern history for many sheikhs and scientific and religious figures who devoted their lives to serving, enlightening, and educating the people of the region. They taught people the fundamentals of their religion and fought illiteracy and ignorance in difficult circumstances and with simple means. Among these sheikhs is Sheikh Hamza Boucha, son of the Wadi Souf region, who became famous as one of the most prominent men of the Association of Muslim Scholars since its founding in 1931 AD, and the most important teachers in its schools since its founding. He used to travel to Algerian cities and regions, spreading his knowledge and planting the foundations of schools, realizing that the country would not become independent or advance an inch unless it raised and educated its generations with a correct education. This study comes to shed light on one of the most prominent and famous scholars of that era, Sheikh Hamza Boucha. This study aims to highlight the status of Sheikh Hamza Boukousha, who we believe did not receive his due and right in view of his great reformist career, his scientific and educational efforts, as well as his impact on the region. The study also aims to preserve the cultural heritage of the region by paying better attention to its history and its figures.

Keywords: Hamza Boukoucha, colonization, reform movement, national identity, the press.

الشيخ حمزة بوكوشة الجزائري (1907-1975) حياته ومسيرته الإصلاحية
حسب شهادة ابن أخيه صهيب شنوف

ملخص:

اشتهرت منطقة الجنوب الشرقي وخصوصا وادي سوف عبر تاريخها المعاصر بالعديد من المشايخ والقامات العلمية والدينية الذين كرسوا حياتهم لخدمة، وتنوير، وتعليم أبناء المنطقة فعرفوا الناس أصول دينهم، وحاربوا الأمية والجهل في ظروف عصيبة وبوسائل بسيطة، ومن بين هؤلاء المشايخ الشيخ حمزة بوكوشة ابن منطقة وادي سوف الذي ذاع صيته كأحد أبرز رجال جمعية العلماء المسلمين منذ

تأسيسها عام 1931م، وأهم المدرسين في مدارسها منذ التأسيس، فكان ينتقل المدن والمناطق الجزائرية ناشرا علمه، غارسا لبنة تأسيس المدارس لإدراكه أن البلاد لن تستقل ولن تتقدم قيد أنملة ما لم تربي وتعلم أجيالها تعليما صحيحا، وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على أحد أبرز وأشهر علماء تلك الحقبة وهو الشيخ العلامة حمزة بوكوشة. وتهدف هذه الدراسة الى ابراز مكانة الشيخ حمزة بوكوشة الذي نحسب أنه لم ينل حظه وحقه بالنظر الى مسيرته الاصلاحية الكبيرة وجهوده العلمية والتربوية وكذلك آثاره في المنطقة، كما تهدف الدراسة للمحافظة على الارث الحضاري للمنطقة عن طريق الاهتمام الأفضل بتاريخها وأعلامها .

الكلمات المفتاحية: حمزة بوكوشة؛ الإستعمار؛ الحركة الإصلاحية؛ الهوية الوطنية؛ الصحافة.

مقدمة

سعت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ احتلالها للجزائر لسلخ الشعب الجزائري من هويته العربية الاسلامية عن طريق سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية من جهة، ومحاربة الدين الاسلامي عن طريق سياسة التنصير من جهة أخرى، لكن السياسات الفرنسية فشلت، والشعب الجزائري نجح في الصمود بفضل أعلام ومشايخ وعلماء وطنيين وهبوا حياتهم للتصدي للمشاريع الفرنسية التي تستهدف هوية الشعب الجزائري، ومن بينهم علماء ومشايخ منطقة وادي سوف، حيث سنتناول في هذه الدراسة أحد هؤلاء العلماء والرجال العظماء الذين حملوا لواء الاصلاح في منطقة الجنوب الشرقي عموما، ومنطقة وادي سوف خصوصا، وهو الشيخ العلامة حمزة شنوف الملقب بحمزة بوكوشة، هذا الرجل الذي وهب حياته لمحاربة المشروع الاستعماري الفرنسي لمحو الهوية العربية والإسلامية للشعب الجزائري فكانت حياته رحلة مليئة بالكفاح وروح المقاومة لهذه السياسة الفرنسية الممنهجة، كرس من خلالها جهوده في نشر التعليم العربي الاسلامي في كل مناطق الجزائر .

وعليه فان اشكالية الدراسة هي اضاءة لحياة وشخصية الشيخ حمزة بوكوشة من جوانبها المختلفة، وكذا جهوده الاصلاحية في مختلف المجالات، حيث نتتبع حياته من مولده بمنطقة وادي سوف ومسار تحصيله العلمي بمنطقته وتونس حتى نيله رتبة شهادة التطويق من جامع الزيتونة، ثم نخرج على مسيرته الاصلاحية وأبرز محطاتها، وأهم آثار الشيخ العلامة في التعليم والأدب والصحافة والتجارة.

و عليه نطرح الإشكالية التالية :من هو الشيخ حمزة بوكوشة؟ وما هي منجزات هذا الرجل في الإصلاح ؟ و هل استطاع بعمله بعث روح التحدي للوقوف في وجه المستعمر والحفاظ على الهوية؟

وما هو دوره في جمعية العلماء المسلمين في تمكين لغة الضاد من استرجاع دورها الريادي،
والمحافظة على تماسك المجتمع من التفكك؟

1-التعريف بالشيخ حمزة بوكوشة:

الشيخ حمزة بوكوشة كما يطلق عليه الجميع، أما أوراقه الرسمية وبعد أحداث الحالة المدنية سنة 1937 أصبح يعرف رسمياً بشنوف حمزة لكن الكنية التي عرف بها طوال السنين غلبت على لقبه الرسمي، ولد بمدينة وادي سوف مهد العلم والمعرفة حوالي سنة 1907م حسب ما صرح به شخصياً مقارنة لميلاد خاله حشية عبد الكريم¹.

إن النظرة الأولى للعنوان يعتقد المرء أن هناك مبالغة، ولكن مقارنة بذاك العصر الأمر ممكن، ولهذا يقول الأستاذ محمد الصالح رمضان² صديقه وصهره في ذلك: "الأستاذ شنوف حمزة أو الشيخ حمزة بوكوشة كاتب اجتماعي، وشاعر وجداني وناقد بصير، وفقه إسلامي وحقوقى مدني، توزع معظم نشاطه في التعليم والتجارة وأخيراً في القضاء والمحاماة، ترك بصماته في كل هذه الميادين وخاصة في الصحافة".

معظم القراء عرفوه ناثراً أكثر منه شاعراً، وبعضهم خاصة رواد المساجد عرفوه واعضاً مرشداً، والحقوقيون وأصحاب المحاكم عرفوه في القضاء والمحاماة، ورجال الأعمال عرفوه تاجراً، والطلاب عرفوه أستاذاً.

أ-نسبه ومولده:

شنوف حمزة بن البشير³ بن أحمد بن بوكوشة بن شنوف بن علي بن مهير (نسب علمته مباشرة من الشيخ نفسه). أما والدته تسمى أحشية مريم .

¹أحشية عبد الكريم: من مواليد وادي سوف سنة 1907 مناضل كبير ، أحد أعضاء حزب الشعب الجزائري بمدينة بسكرة التحق بالثورة مباشرة بعد انطلاقتها، شارك في عدة معارك بجبال الزيبان، التحق بعدة مناصب سياسية، توفي سنة 1994 بمدينة بسكرة.
²محمد الصالح رمضان: من مواليد 24 أكتوبر 1914 بالقطرة جنوب شرق مدينة بسكرة ، حفظ القرآن في كتاتيب بلدته، التحق بدروس عبد الحميد بن باديس سنة 1934 بالجامع الأخضر بقسنطينة، عين مفتشاً جهوياً للتعليم الحر، عمل استاذاً في ثانوية الشهيد حسيبة بن بوعلي بالقيّة الى ان أحيل الى التقاعد سنة 1979، توفي يوم 2008/08/22 .

³البشير بن أحمد بن بوكوشة: من مواليد سنة 1867 من حفظة القرآن الكريم ، اشتهر بجودة الخط حيث نسخ ما يقارب 60 نسخة من مختلف الاحجام ، كان تقياً ورعاً محباً للعلم والعلماء، اشتغل بالتجارة بمدينة بسكرة ، اصيب بداء السكري وتوفي على أثره يوم 1933/02/07 ودفن في جنازة الأعشاش

ويؤكد كل من عرفوه أن جل إخوته نالوا قسطا من التعليم مقارنة بوضعهم آنذاك، ومن بينهم أخاه الهاشمي الذي يكبره في السن، والذي استطاع نيل شهادة التطويع واستقراره بالقطر التونسي، وباقي الاخوة معظمهم سلك مهنة التجارة حيث استمر في ذلك ما عدا الوالد " المكّي " الذي ودع التجارة ودخل منذ بداية الاستقلال بالضبط، وابتداء من اكتوبر 1962 الى غاية احواله على التقاعد من سلك التعليم حيث عين معلما.

[دراسته:

كان والد الشيخ "البشير بوكوشة" شديد الولوع بالتحصيل العلمي لكونه صاحب زاد، ولهذا وجه ابنه منذ نعومة أظافره نحو الكتابات وبذلك حفظ كتاب الله، وتتلّمذ على يد الأخوين أحمد والطاهر العبيدي (حسب ما سمعته منه شخصيا)، والفقّه على الشيخ ابراهيم بن عامر⁴ صاحب (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف)، ولكون والده مقيم بمدينة بسكرة أين يمارس التجارة، دفع الوالد ابنه الى هناك⁵، وكان شيوخه منهم الشيخ علي بن العقبي بالزاوية القادرية وكان رفيقه آنذاك أمير الشمال الافريقي " محمد العيد آل خليفة"⁶ ودام ذلك قرابة السنتين (حديث مع الشيخ 1991/03/22 للأستاذ ابو القاسم سعد الله) ولقد خلد الشيخ حمزة ذلك في احدي قصائد الاخوانية حيث يقول:

يا عيد ما تلك المواعد .. قد تراءت كالسديم
هل نحن كعون بمزرعة وساقينا لئيم
أصرمت حبل مودتي .. بين العشية والصريم
ونسيت أنس مجالس .. مرت كأحلام الفطيم
صهباؤها وقيانها .. طرف من الأدب الصميم

⁴ ابراهيم بن عامر: شيخ جليل، من مواليد وادي سوف سنة 1875 من خريجي جامع الزيتونة، تطوع للتدريس لل كبار والصغار، له عدة مؤلفات من أشهرها كتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تولى منصب باش عدل في بلدية كوينين ثم مدينة الوادي، توفي يوم الارزاء في 1932/07/20.

⁵ علي غنابزية: العلامة والأديب الصحفي الشيخ حمزة بوكوشة النبأ 184، الجزائر من 16 ديسمبر الى 01 جانفي 1995، ص 24 مجلة الشهاب الجزء السابع 7 اكتوبر 1936 .

⁶ محمد العيد بن محمد علي بن خليفة : من مواليد عين البيضاء بتاريخ 28 اوت 1904 ، درس على يد الشيخين محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجي، انتقل الى بسكرة سنة 1918 حيث واصل دراسته على يد المشايخ: علي بن ابراهيم العقبي الشريف، والمختار بن عمر البعلاوي، والجنيدى أحمد المكّي، وفي سنة 1921 انتقل الى تونس حيث مكث سنتين ثم رجع الى بسكرة ، من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، سجن ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية حتى حصول البلاد على استقلالها ، توفي سنة 1979 ودفن في بسكرة .

كنا (فرحاتنا) وجالولا كما العقد النظيم
كنا كندمانى جذيمةوالزمان لنا بسيم
فتفرقت أشباحناوالأمر لله العظيم
يا عيد ما هذا التكاثر .. والتماطل بالرقيم
ان كلمتك رسالتي .. خمسين (صانتي) أو (ملين)
فاترك مساءك قهوةوأبعث كتابا للحميم
دم للجزائر شاعرا .. متسنا عرش النظم
أنت الامير حقيقة وأنا بذالكم زعيم⁷

وكان لا بد بعد الامام بالمبادئ الأولية أن يتجه الى الجامع المعمور القبلة آنذاك الذي كان مقصد كل طالب علم، والمنارة التي كانت من الأسباب التي دعمت الجزائر، هذا الجامع الذي لولاه ما صمدت اللغة العربية، ولما ترسخت الشخصية والهوية الوطنية للشعب الجزائري بواسطة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأقصد بذلك رجالات جمعية العلماء، ومن بينهم شيخنا حمزة الذي نال شهادة التطويح سنة 1930م، ومنذ هذا التاريخ دخل شيخنا الى الحياة الصحافية والأدبية بالقطر التونسي، وكانت مجلة الوزير لصاحبها بن عيسى الطيب⁸ الجزائري الأصل الملجأ والملاذ لشيخنا، ولهذا نجد شيخنا في احدى المناسبات يهنئه بمضي ربع قرن عليها في الكفاح الاصلاحى:

ربع قرن قضية في الصحافة... دائبا ساعيا لنشر الثقافة

لم تؤيد مدى الحياة خونا ... غادرا بالبلاد، أودا خرافة

يدعي العلم والتصوف، حتى ..يكسب الفلوس أو يروم اختطافه

ظنه الجاهلون شيخا تقيا .. وهو يحتسي كؤوس السلافة⁹

كما لا يفوتني أن أذكر هنا مثابرة الرجل وعصاميته وهو يظاً عتبه الشيخوخة حيث تابع دراسته للحقوق في جامعة الجزائر العاصمة وتحصل على شهادة ليسانس سنة 1971م.

ج- الانخراط في الحركة الاصلاحية:

⁷مجلة الشهاب، الجزء السابع "7" أكتوبر 1936.

⁸الطيب بن عيسى: (1885-1966) من أصل جزائري، ولد بتونس ودرس بالزيتونة، ساهم في تحديد وإصدار عدد من الصحف في كل من تونس والجزائر، أنشأ سنة 1911 جريدة المشير ثم جريدة الوزير سنة 1920، كان من الرجال الاوائل الذين ساهموا في الحركة الوطنية

⁹قمعون عاشوري: العلامة الشيخ حمزة بوكوشة، مطبعة سخري، حي المنظر الجميل، الوادي 2011، ص 23

كان الشيخ حمزة بوكوشة من الرجال الذين شاركوا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 1931م، ومن الذين حضروا تأسيسها حيث وجه له الاستدعاء بصحبة والده البشير بوكوشة لكن حال المرض دون حضور الوالد، فكان الشيخ حمزة ممثلاً لنفسه ووالده، لهذا نجد رئيس جمعية العلماء عبد الحميد بن باديس يعتمد عليه بحيث كان من المدرسين (راجع كتاب عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده التربوية للأستاذ رابح تركي)¹⁰

لهذا نجد أن للأستاذ حمزة بوكوشة مكانة مرموقة لدى رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس إذ في إحدى المرات شكى الشيخ محمد خير الدين¹¹ من قلة الرجال من أجل اعانته فأجاب الشيخ عبد الحميد بن باديس " كيف تشكو قلة الرجال وبقربك أمثال حمزة بوكوشة (راجع ذلك في كتاب الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية للأستاذ الزبير بن رحال).¹²

ويذكر شيخنا أن الامام عبد الحميد بن باديس " أيام اشتعال الحرب اجتمعت به لآخر مرة بنادي الترقى، وحضر الاجتماع تلميذه الشيخ محمد بن الصادق الملياني¹³ ليس غير، وبعدما تحدثنا معه في مواضيع خاصة وعامة انتفض رحمه الله وقال " هل لكم أن تعاهدوني؟ " فقال لهم محمد الملياني " لا أستطيع قبل أن أعرف " ثم توجه الي وقال " وأنت " فقلت: " إذا كان على شئ أنت فيه فأنا أعاهدك قال " طبعاً أنا لا أكلف غيري بما لا أكلف به نفسي " فمددت يدي وصافحته وقلت " اني أعاهدك ولكن على ماذا؟ قال " انني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشن عليها ايطاليا الحرب " ثم افترقنا ولم يعد بعدها الى الجزائر، وهكذا كانت نيته¹⁴ (عن الشيخ نفسه) .

ويتضح لنا من هذه القصة أن الشيخ حمزة بوكوشة الشخصيات المرموقة ومن رجالات جمعية العلماء البارزين، وبعد ذلك عين معلماً في مدرسة التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة حوالي 1936 ثم أستاذ مساعد لابن باديس في أحد فروع الجامع الاخضر وهو مسجد سيدي بومعزة¹⁵.

¹⁰ رابح تركي: عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.

¹¹ خير الدين: الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889-1940، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة الجزائر، 1997.

¹² الزبير رحال: عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية (1889-1940)، عين مليلة دار الهى، الجزائر، 1997.

¹³ عاشوري قمعون، مرجع سابق، ص 39 .

¹⁴ مجلة حضارة الاسهام العدد.1، السنة الخامسة، اوت 1964.

¹⁵ الجامع الاخضر : من أغرق المعالم في مدينة قسنطينة، حيث يعود تاريخه الى سنة 1743 في فترة حكم الباى العثماني حسن بن الحسين، يتميز بطرازه المعماري للمغرب العربي، كما كان يقوم بالتدريس فيه ثمانية مدرسين وآخر من أحيأ سنة التدريس الأستاذ العلامة الإمام عبد الحميد بن باديس، كما فسر فيه القرآن الكريم على مدى خمس وعشرين سنة

2-نشاطاته وأعماله:

أ-حمزة بوكوشة الصحفي:

قال عنه صديقه محمد صالح رمضان "ترك بصماته في كل الميادين وخاصة في الصحافة لا يختلف اثنان أن الرجل كان صحفيا بامتياز، وكانت بدايته بالقطر التونسي، وعندما انتقل الى موطنه ساهم في انشاء جريدتين أولهما جريدة" المغرب العربي"¹⁶ سنة 1937م، وكان صاحبها "محمود بلة" لم يصدر منها سوى (04أعداد) لوقوفها في وجه الاستعمار آنذاك، ولذلك عطلت وهي في المهدي، وهناك بمدينة وهران حيث كان انطلاق الجريدة المذكورة أسس مطبعة المغرب العربي، وجعل ذلك بشري لمحبي اللغة العربية، وجاء في الاعلان أنها تطبع كل أنواع الكتابة باللغتين، ولا ندري ما اذا كانت المطبعة مشروعا تجاريا عاما أو كانت فقط مطبعة لطبع جريدة "المغرب العربي"، ولعل جريدة الوفاق التي أنشأها محمد السعيد الزاهري¹⁷ في وهران كانت تطبع في هذه المطبعة أيضا، وكذلك جريدة الليالي مع علي بن سعد بالعاصمة بعد تعطيل أولي، ولكن وقوف الإستعمار أمام الكلمة الصادقة حال دون استمرار الجريدتين.

ب-جرأته الصحفية:

لا يمكن أن نمر على حمزة بوكوشة الصحفي بدون التنويه بجرأته الصحفية ولنا في مقاله المنشور في جريدة " البصائر " تحت عنوان "على من نعول في توحيد المسلمين" الذي رفعه نحو رفاقه من جمعية العلماء المسلمين الذين كانوا يمضون مقالاتهم بأسماء مستعارة كـ "الفتى الزواوي" "الفتى القبائلي" "الصنهاجي" وغيرها من الأسماء، وكان من بين الموقعين عبد الحميد بن باديس بالاسم المستعار الصنهاجي مما أثار ضجر الشيخ حمزة بوكوشة بالرد التالي: "كنت أطالع تلك الصحف التي هي لسان الجمعية فيلوح لي فيها ما يستوجب لاذع الانتقاد" كما مضى الفتى القبائلي، الفتى

¹⁶جريدة المغرب العربي:جريدة أدبية سياسية اجتماعيةوهي لسان حال الشبان المسلمين،كان مديرها السيد محمود بلة، أما رئيس تحريرها الشيخ حمزة بوكوشة،تصدر يوم الجمعة،وظهر العدد الأول منها يوم 21ماي 1937 بمدينة وهران.

¹⁷محمد السعيد الزاهري من مواليد إحدى القرى قرب بسكرة عام 1899 حفظ القرآن الكريم بكتابها، درس على الشيخ عبد الحميد بن باديس، انتقل الى تونس وتحصل على شهادة التطويح سنة 1924، وأضحى عضوا بارزا في جمعية العلماء، أصدر عدة جرائد مثل: جريدة الجزائر عام 1925، البرق سنة 1927، والوفاق سنة 1938، اغتيل سنة 1956 والظاهر أنه لم يحظ بتلك العناية من المؤرخين والكتاب الجزائريين وبقيت سيرته العلمية غير مدروسة ولم يعرفها الجزائريين .

الزواوي" تلك الامضاءات التي تبعث العنصريات وتذكي نار التفرقة التي اخمدها الإسلام فاعرض متغاضيا و مستعدرا للمضيين .

وأخيرا صدرت جريدة البصائر الغراء فتغلب ياسي على رجائي بعدما حاك تلك الامضاءات رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس، وهو كما تعلمون من أبرز الشخصيات في العالم الاسلامي .

كتب هذا الأستاذ مقالا في العدد الثالث من البصائر تحت عنوان" ما جمعته يد الله لاتفركه يد الشيطان" بامضاء عبد الحميد بن باديس الصنهاجي (كذا) فعجبت من هذا المقال الذي لا يتلاءم العنوان فيه والامضاء...". وظل هذا السجال بين حمزة ورفاقه مع العلم أن حمزة بكوشة كان يمضي هذه المقالات ب "الطالب الزيتوني" الى أن تدخل الشيخ العقبي¹⁸ من أجل حسم الجدل وهنا يدرك المرء الجرأة التي كان عليها الشيخ فيما يراه حقا حتى على رئيسه لأنه الحق وتقبله، وبمثل هذا النقد البناء تبنى المجتمعات .

3- حمزة بوكوشة الأديب:

لم تكن موهبة الشيخ حمزة بوكوشة في الصحافة فقط، بل كانت موهبته في الأدب لا تقل عن الصحافة سواء في الشعر أو في النثر .

أ- حمزة بوكوشة كاتب المقالات الأدبية:

إذا لم تحاربك هذه الحياة.. فلست اذن من رجال الأدب
فصبرا وصبرا على النائبات.. ولا بد يوما تزول الكرب¹⁹
بهذين البيتين يرينا الشيخ المعانات الضرورية للأديب، وكان الرجل أديبا ناثرا أكثر منه شاعرا فهو ناقد وكاتب مقالاتأدبية وسياسية من النوع الجريء، لهذا نجد له مشاركة في أدب الرحلة حيث أدلى بدلوه في هذا الفن حول رحلته الى المغرب تحت عنوان " أربعون يوما في المغرب الأقصى" .

¹⁸الطبيب العقبي: من مواليد سيدي عقبة ببسكرة- سنة 1880، هاجر رفقة أسرته الى الحجاز، تلقى تعليمه بالمدينة المنورة ، شارك في الحياة السياسية قبل الحرب وبعدها أدار جريدة القبلة، ثم رجع الى البلاد سنة 1920، أسهم في الحركة الاصلاحية وأصدر جريدة القبلة، ثم رجع الى البلاد سنة 1920، أسهم في الحركة الاصلاحية وأصدر جريدة " الاصلاح" سنة 1927 توفي في 21 ماي 1960 مصابا بالسكر، ودفن بالجزائر العاصمة .

¹⁹قمعون عاشوري ، مرجع سابق، ص 70.

بدون نسيان أن الرجل ناقد بصير فاتجاهه النقدي بدافيه للبعض شيء من التطرف حتى كتب " أحمد رضا حوحو"²⁰ في "الشعلة" 21^{قائلا}: " أخذ الأستاذ حمزة بوكوشة في مقالاته الجريئة التي يواصل نشرها في البصائر يشكك في كل شيء ويشككنا في كل شيء، فهو يتساءل: هل في الجزائر شعراء؟ هل في الجزائر أديبا؟ هل في الجزائر زعماء؟ وأخيرا هل في الجزائر أزواج وزوجات؟ ولا زال الأستاذ مستمرا في شكه وتشكيكه حتى خشينا أن يشك في الغد في وجوده ويذهب يتساءل : هل في الجزائر حمزة بوكوشة".

كان الشيخ حمزة بوكوشة يمضي مقالاته الأدبية والاجتماعية تارة باسمه الصريح وأحيانا بأسماء مستعارة مثل (سهيل، الطالب الزيتوني) لذلك لا ننسى أن شيخنا قام بكتابة مذكراته الخاصة، وما تزال مخطوطة لكنها رأت النور تحت العنوان التالي " ما رأيت وما رويت" .
وكما أن للشيخ جرأة في الصحافة كذلك في الأدب، فالشيخ يرى أن لا رمزية حول ما تبوح به المشاعر، وأن الغزل العفيف لا يتعارض مع الدين اطلاقا، وعليه لا قيد على المشاعر الصادقة ولا يجب الخجل منها .

هذا، ويحكى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم الحركة الاصلاحية، والرئيس المباشر لصحافتها تجرأ ذات يوم فنشر قصيدة غزلية تساجلها ثلاثة من شعراء الجزائر في حسناء مرت بهم جالسين في احدى الحدائق العامة بعاصمة الجزائر، ولكن الشيخ الوقور لم يفته أن يقدم الأبيات في مجلة

²⁰الشهيد رضا حوحو من مواليد 1910 في بلدة سيدي عقبة ، حصل على الأهلية سنة 1928 هاجر مع أسرته الى بلاد الحجار عام 1931، درس العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ، وفي سنة 1937 نشرت له مقالة بعنوان الطريقة في خدمة الاستعمار، انظم إلى جمعية العلماء عام 1946، أسس أسبوعية الشعلة وترأس تحريرها اغتيل يوم 1956/03/29 أعيد دفن رفاته بمقبرة الشهداء بالخروبة.

²¹أحمد بدوي جلول من مواليد 1906 بالبلدية، من حفظه القرآن، بدأ التدريس بمدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة سنة 1931 استمر في المهنة الى غاية 1942 حيث قدم استقالته في أواخر فبراير ، في سنة 1957 لجأ الى المغرب الأقصى، ووضع نفسه تحت تصرف جبهة التحرير الوطني، عند استرجاع البلاد لسيادتها عين أستاذا في عدة ثانويات نذكر منها، ثانوية بن شنب (1963)، ثانوية عقبة وعمر راسم من 1964 إلى 1971، ثانوية الثعالبية قبل تحويلها إلى مركز التعليم المعمم، توفي في 26 يناير 1999 .

" الشهاب" بهذه السطور " اجتمع الأساتذة (بدوي جلول)²²، (أحمد سحنون)²³، (محمد العيد آل خليفة) في أحد المنتزهات الجميلة بعاصمة الجزائر فمر أمامهم ما حرك شاعريتهم بالأبيات التالية، وكأنهم خاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصا آخر غير مرئي

البدوي: وفتاة مرت بنا ذات صباح... تنتهي كأنها غصن بان

سحنون: ثم ولت ومارثت لقلوب... رشقتها بلحظها الفتان

محمد العيد: قربت وصلها القلوب، ولكن... حال من دونها اختلاف اللسان

البدوي: ربة الدل، داركي أنفسا حيرى... تعاني من الضنى ما تعاني

لفته ترجع الحياة الى القلب ... وعطفا يعيد ميت الأمانى

سحنون: وارتشافا من خمر ريقك يطفى... ما بنا من لواعج الأسجان

وابتساما ينير ظلمة نفس ... عذبت بالصدود والهجران

محمد العيد: أحسنى فالحسان في شرعه... الآداب أولى الأنام بالإحسان

ملك الحسن أمرنا فأرانا ... كيف يبلى الانسان بالإنسان

وبالرغم مما يبدو على الأبيات من سطحية عاطفية تدل على أنها قيلت للتسلية لا للتعبير الذاتي، فان شيخ الاصلاح كبر عليه أن يذيع أبيات كما أملتها المناسبة، ففي ذلك مساس بوقار الاصلاح والمنهج المحتشم الذي تنتهجه صحافته، وقد أثار تعليق الشيخ عبد الحميد بن باديس ردود فعل في الأوساط الأدبية، ورأت في ذلك نوعا من التضيق على حرية القول والغلو في الدين، فرد عليه " حمزة بوكوشة" في جريدة " البصائر" التابعة للحركة نفسها بمقال تحت عنوان " مجلة الشهاب واحترام الأفكار جاء فيه: " والذي يهمني هي المقدمة التي قدم بها صاحب "الشهاب" تلك المسجلة حيث قال وكأنهم خاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصا آخر غير مرئي .

²²أحمد سحنون: من مواليد ليشانة بضواحي بسكرة سنة 1907، حفظ القرآن الكريم مبكرا، تعلم على يد مجموعة من العلماء من أبرزهم: الشيخ محمد خير الدين وعبد الله الدراجي وعبد الله بن مبارك، كان خطيبا مفوها ومعلما رفيع ساند الثورة ودخل السجن سنة 1957، حكم عليه بالإعدام وأفرج عنه بعد ثلاث سنوات لأسباب صحية، عين اماما وخطيبا في الجامع الكبير ، تعرض لمحاولة اغتيال ، فعكف في بيته حتى لقي ربه في 08 ديسمبر 2003.

²³جريدة أسبوعية ، لسان جمعية العلماء، امتيازها للصادق حماني، وتحريرها لأحمد رضا حوحو، إدارتها لأحمد بوشمال، صدر عددها الأول ي 15 ديسمبر 1944.

وبما أنني عرفت من صاحب الشهاب الرجوع الى الحق مهما ومض له بريقه، رأيت مؤاخذته على تلك المقدمة خدمة للأدب والأدباء، ودفعاً للمعرة عن الشعر والشعراء. الشعراء الثلاثة مرت بهم في احدى المنتزهات والصبح مسفر فتاة ذات طرف كحيل، وخذ أصيل، وردف ثقيل، وخصر نحيل وحركت شاعرية أحدهم فقال:

وفتاة مرة بنا ذا صباح .. تتسنى كأنها غصن بان

فكبر على صاحب الشهاب أن ينشر في مجلته قطعة من الشعر الصادق الذي يترجم عما في القلوب أنطقت بها الطبيعة أولئك الشعراء وحررتهم من تقاليد الدهماء من الناس، فكان الشعراء أجرموا في نظر صاحب " الشهاب" فلطف من جريمتهم، ونصح لهم من طرف خفي أن يخاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصاً غير مرئي ولست ادري هل يرى صاحب " الشهاب" حب النساء والتشبيب بالنساء منكراً من القول وزوراً أو أنه يخشى اتهام أولئك الشعراء بالمجون والمجون في نظر الكثير فسق، وفي كلتا الحالتين فهو يحاول من وراء ذلك الرجوع بالشعر والشعراء الى العصور المظلمة التي كان يتغزل فيها الرجل بخليته أو حليلته، ويدعي على الناس أنه يتغزل في الحضرة الالهية أو الحضرة النبوية، أعيدك بالله يا صاحب " الشهاب" أن تكون من الذين يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، فلا وربك ما خاطب أولئك الشعراء إلا فتاة من لحم ودم، ولا جناح عليهم في ذلك مادام حب النساء غريزة في الرجال فطرهم الله عليها، وقد قال في كتابه " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين"²⁴ وقال صلى الله عليه وسلم حبيب الي من دنياكم ثلاث: "النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة" وتقديم ذكر النساء يفيد الاهتمام بهن اذ حبهن لا يسموه حب²⁵

ويلخص حمزة بوكوشة رأيه في قوله " ومجمل القول لو كان التغزل في النساء هجراً من القول لنهى عنه النبي(ص)، ولهذا أرى أن صاحب الشهاب ظلم أولئك الشعراء ولا نكران علي اذا صرحت بعد هذا بأني:

أحب النساء وذكر النساء.. ويعجب قلب لذيذ الغناء

وأنا احتفظ بديني وشرفي وكرامتي كشاب مسلم متدين

²⁴سورة آل عمران، الآية 14 .

²⁵حديث صحيح، رواه احمد والنسائي والبيهقي والطبراني وأبو يعلي وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم .

ولله مني جانب لا أضيعه... ولله مني والبطالة جانب

وذيلت جريدة" البصائر" المقال أعلاه بسطور منها

" وبقطع النظر عن صواب أو خطأ الناحية التي فهمها الناقد من كلمة الشهاب الغراء لا يمنع أن

تكون تلك الكلمة ناظرة الى المعنى الذي أعرب عنه هذا الناقد في قصيدة له بالبصائر اذ يقول:

هيهات يسبي فؤادي في منازل من سبوا بلادي فبت شبه مطرود

أن هذه المساجلة الشعرية التي قدمها رئيس جمعية العلماء والرد الذي أدلى به " حمزة بوكوشة"

يدل على الجرأة التي يمتلكها الشيخ حمزة من جهة، ومن جهة أخرى سعة صدر الامام المصلح،

وتقبله لهذا النقد اللاذع مع العلم أن حمزة بوكوشة ما هو إلا أحد أبناء الزعيم الروحي، ولو أسقطنا

هذه الحادثة على واقعنا المعاصر بين زعيم حزب سياسي مرجعيته دينية وأحد أفراد حزبه لاتهم

العنصر الناقد بكل التهم والصفات، وطرد من حزبه، وطعن حتى في دينه ولكن شتان بين من

كان جهاده لله لا غير وبين من يريد الحياة الدنيا.

ب-حمزة بوكوشة الشاعر :

ترك الشيخ حمزة بصمات في ميدان القوافي ولا تمر مناسبة أو ذكرى تحرك المشاعر إلا وتناولها

، فكما يقول الشاعر القديم:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى... وحنينه أبدا لأول منزل

لم تغب وادي سوف مسقط رأس شيخنا على وجدانه في العديد من الأبيات الشعرية :

سماك الله يا وادي الرمال... وصانتك الأسنة والعوالي

ولازالت بك الحصباء درا... حصاها فائق اسنى اللآلي

وكتبان تتاجي السحب دوما... تغار لطولها شم الجبال

قضيت بها زمان اللهو طفلا... أداعب حسن ربات الجمال

ورب مليحة قد كنت أهوى... تفوق بجيدها جيد الغزال

فأبعدني عفاي عن لماها... وقدا طبعت على الكمال

الى أن يقول متوجها لقومه بالنصيحة

ألا يا قومي استمعوا ولبوا... دعائي للمعارف والمعالي

عليكم بالعلوم فان فيها... حياة النشء من بعد الزوال

إلا يا قومي انتبهوا وهبوا ... لتربية البنين على الكمال²⁶

وقال الشيخ في قصيدة رثائية صادقة ومعبرة في ذكرى وفاة والده :

ابتي لم علمتي منذ الصبا ... فحملت من تعلمك الأدواء

هلا نشأت على الجهالة انتقى ... زرق العيون وأحتسي الصهباء

علمتني فحرمت في عهد الصبا ... ما نيل من ماري ومن اسماء

علمتني فنبتت كل منافق ... نبذ الحنيفة في البلاد وراء

فاذا خلا بالمفسدين يحثهم ... واذا خلا بالمصلحين أساء

علمتني فغدوت ما بين الملا ... صبا غريبا بكرة ومساء²⁷

وهكذا يرثي الأب الروحي العلامة محمد البشير الابراهيمي بالقصيدة التالية:

أرأيت من هذه الحياة جفاء فسكنت رمسك تجيب دعاء

أم شاقك الصحب الذين تقدموا .. فلحقتهم شوقا لهم ووفاء

أم مسك الداء العضال فلم تطق .. صبيرا ولم تتحمل الأعباء

هلا عفوت وكنت تعفو حسبة ... عنم يسيء ويحدث البغضاء

هلا صبرت وكنت تصبر دائما ... لم تكثرث يوما بما قد أساء

آه بشير القطر كيف تركته ... متحملا من بعدك الأرزاء

آه امام المصلحين تركتهم من هو بعدك يكشف الغماء

من هو للصفح يتجدد مجدها .. ويصد عنها الغارة الشعواء

من هو للفصحى يوشي لفظها... ويزيد فيها روعة ورواء

من هو للأدب الطريف ومن ... ترى للشعر يؤويه كما قد جاء

من هو للإسلام بعدك رائد.... ومجدد يتقحص الآراء²⁸

وكما قلنا أن الشيخ حمزة بوكوشة ناثر أكثر منه شاعرا إلا أنه ترك ديوان سوف يرى النور قريبا تحت

عنوان خواطر الشباب والمشيب" ونهني حمزة بوكوشة الشاعر بقصيدته مستبشرا باستقلال الجزائر

²⁶جريدة الوزير في 21 جويلية 1932، أنظر سعد العمامرة، أحمد منصوري أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع 2006 الوادي .

²⁷جريدة الوزير في 13 جويلية 1933.

²⁸عاشور قمعون: مرجع سابق، ص 91 .

سبحان من يحي العظام وينشر علم الجزائر في الجزائر ينشر
قرن وبعض القرن لم يخفق بها واليوم قد طلع الهلال المسقر
من مبلغ الأسلاف في أجدانهم أن البنين لتأرهم لم يهدروا
قاموا بثورتهم فكانت عبرة العصر الحديث وحجة لا تنكر
خطت على وجه الوجود صحائفها... نسخت بها ما سطر المستعمر
ظن الجزائر أدمجت في أرضه.... وغدت بأصل وجودها لا تشعر
سبع شداد ثم بضعة أشهر قد خطها التاريخ وهي تصور²⁹

4- حمزة بوكوشة نضاله السياسي وأعماله الأخرى:

أ- حمزة بوكوشة التاجر:

التجارة نشأ فيها صغيرا مع أبيه الشيخ البشير في بسكرة، ثم استمر لوحده بعد وفاة والده بالعاصمة
ما بعد الثلاثينات، فلا عجب أن يعود لها في الأربعينيات عند شركة " آمال " في وهران يقول فيه أحد
أصدقائه الكاتب الساخر والروائي " أحمد رضا حوحو " حمزة بوكوشة تاجر أديب تجارته هواية لا
احتراف، ولهذا نجده في الخريف تاجر تمور، وفي الشتاء تاجر قدور، وهو يمارس هاتين التجاريتين
على الطريقة الأدبية فلا تعجب اذا قلت أن حرفة الأدب قد أفسدت عليه تجارته³⁰

جريدة الشعلة عدد 18 بتاريخ 1950/04/13

ويقول عنه في مناسبة أخرى:

" تاجر لا يحسن التجارة ولا يؤمن بها، اشتغل بها خطأ واستمر في هذا الخطأ عن اصرار وعناد وخير
له أن يكون أدبيا ناجحا من ان يكون تاجرا مفلسا³¹

ب- حمزة بوكوشة المناضل:

إن هذا السرد لحياة الشيخ العلمية لا ينسينا نضاله ومواقفه ضد الاستعمار الفرنسي، ولذلك تعرض
الشيخ حمزة للاعتقال والمتابعة عدة مرات وعلى فترات متفاوتة نذكر منها:

1- اعتقاله بمنطقة دلس حيث كان يعلم اللغة العربية .

²⁹جريدة الصباح، تونس في 12/08/1962، سعد العمارة وأحمد منصور مرجع سابق، ص 78.

³⁰جريدة الشعلة عدد 18 في 18 أبريل 1950.

³¹جريدة البصائر العدد 363 في 23 أبريل 1954.

2- اعتقاله بحوادث سوف سنة 1937 للمتابعة.

3- اعتقاله أثناء حوادث 1945 تعرض للسجن .

4- اعتقاله أثناء الثورة التحريرية الكبرى تعرض كذلك للسجن مع بعض الرفاق .

وعند الاستقلال بدأ العمل في وزارة الأوقاف" حسب تصريح الأستاذ عباسي مدير الشؤون الدينية بولاية الوادي سابقا". وبأنه أول من قام بإلقاء الدروس الدينية. وعندما أدمج المعلمون الأحرار في الإطار العام للتعليم والوظيفة العمومي، واعترف لهم بالأقدمية وجميع الحقوق المدنية التحق بالتعليم كأستاذ في ثانوية" عمر راسم" ثم في ثانوية"عقبة" بالعاصمة، وتابع دراسة الحقوق بجامعة الجزائر على كبر سنه حتى تمكن من تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1971م.

عمل في وزارة العدل كزيتوني خبير في الفقه الإسلامي ومتعلقاته وانتدب لذلك كمستشار في المجلس الأعلى للقضاء كما كان عضو في المجلس الإسلامي الأعلى من بداية تأسيسه وشارك في مهامه وعندما ظهر كتاب" حياة كفاحي جزء2" لأحمد توفيق المدني³² في أواخر السبعينات تصدى شيخنا بمعية أصحاب الدرب بدحض وافتراء صاحب الكتاب المذكور على تزيف وتحريف الحقائق حيث كانت، حضرت تلك الجلسات رغم صغر سني بين حمزة بوكوشة والوالد " المكي"، وكذلك أحد أعضاء الجمعية العلماء الشيخ عباس تركي³³ ينتقدون ما جاء في كتاب أحمد توفيق، وبذلك صدر الكتاب للرد على ذلك تحت عنوان التحريف والتزيف في كتاب حياة كفاح ساهم فيه شيخنا بمقالات يدحض أراء، أحمد توفيق المدني .

ج- حمزة بوكوشة الإنسان :

لم ينس شيخنا مسقط رأسه حيث كان يتردد على الوادي على فترات وبمنزل أخيه 'المكي' يطلب المأكولات المحلية طول فترة وجوده " كالمحاجب" " البركوكش" " السفه" " الكسكس بالمريسة" . كما

³²أحمد توفيق المدني من مواليد 1899 ، درس بالزيتونة، انتمى للحركة الوطنية، أصبح عضوا في الحزب الدستوري التونسي ، نفي الى الجزائر سنة 1925 بسبب نشاطه السياسي. تولى عدة مناصب في وزارة الثقافة في الحكومة المؤقتة 1958 له عدة مؤلفات في تاريخ الجزائر منها حرب الثلاثمائة سنة ق1492-1792، هذه هي الجزائر و غيرها، توفي في 18 أكتوبر 1983 ودفن في مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة .

³³عباس تركي: من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اتهم في قضية المفتي دالي كحول زج به في السجن صحبة الطيب العقبي، أفرج عنهما بعد تدخل كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي. ذكرت صحيفة الدفاع ليوم 26 جوان 1938 أن موريس فيوليت قد عين مدافعا عن الشيخ العقبي وزميله باسم رابطة حقوق الانسان باعتبار ان الجمعية الفرنسية الإسلامية اختارت الشيخ العقبي رئيسا شرفيا لها .

كنت أشاهده رغم شيخوخته ملتزم بالمطالعة وحريصا على النظام وجدولة أوقاته فينزع الكتاب عندما نجد أن الوقت المحدد قد فات .

كما كانت هوايته المحببة السياحة حيث زار بلدان عدة في العالم، أما وطنه فحدث ولا حرج من شماله الى جنوبه وغربه وشرقه.

هذه وفيات من حياة حمزة بوكوشة الكاتب الأديب، الشاعر، المحامي، الفقيه، وعلى رجالات الأدب والتاريخ أن يحيوا هذا التراث المدفون، وهي أمانة في أعناقهم لأنه لولا نضال هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه لفقدت الجزائر هويتها العربية الإسلامية، نظرا للاستعمار الفرنسي الذي دام قرابة 132 سنة .

خاتمة

نستنتج في آخر هذا البحث أن الشيخ العلامة حمزة بوكوشة كان رجلا عظيما ذو كفاءة عالية علميا ودينيا وأديبا يشهد له بها كل علماء عصره، ويعود الفضل في المكانة العلمية التي بلغها الشيخ حمزة بوكوشة لمستواه العلمي المميز حيث حاز على شهادة التطوع من جامع الزيتونة وهي أعلى اجازة علمية في تلك الفترة التاريخية. كما تبين لنا أنه حمل على كتفيه مهمة الاصلاح والتربية ومحاربة الجهل طيلة حياته فكان مصباحا ينير للناس طريق الحق فيعرفهم أصول دينهم، ويحثهم على التمسك بعروبتهم وهويتهم . كما استنتجنا أنه قضى حياته مدرسا وواعظا ومربيا بين المساجد ومدارس جمعية العلماء المسلمين بمنطقة هو باقي ربوع الوطن، ودليل على بعد نظره وعمق تفكيره فكرة بناء المدارس التعليمية بمنطقة وادي سوف وغيرها من المناطق، فكان من بين الأوائل الذين ساهموا في الانطلاقة الحقيقية للحركة الاصلاحية في الجزائر التي تركزت على التعليم العربي الاسلامي. كما تبين لنا أيضا أن الشيخ العلامة كان متعدد المواهب فكان أديبا يكتب عديد المقالات، وشاعرا فذا وظف قصائده للتوعية والنصح والارشاد للشعب الجزائري، كما كانت مقالاته الصحفية المتعددة التي برع فيها بشكل واضح تعد آثارا وارثا دينيا وعلميا تشهد له على الدور الكبير الذي لعبه في تاريخ منطقتة والجزائر عموما، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأحاديث الشريفة

• المؤلفات:

- تركي رابح: عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
- خير الدين: الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889-1940، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة الجزائر ، 1997.
- رحال الزبير: عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية (1889-1940)، عين مليلة دار الهى، الجزائر، 1997.
- العمامرة سعد: أحمد منصوري أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، شركة مزوار للطباعة والنشر والاشهار والتوزيع 2006 الوادي .
- قمعون عاشوري: العلامة الشيخ حمزة بوكوشة، مطبعة سخري، حي المنظر الجميل، الوادي 2011.

• المقالات:

- مجلة الشهاب، الجزء السابع "7" أكتوبر 1936.
- مجلة حضارة الاسهام العدد 1، السنة الخامسة، أوت 1964.
- جريدة المغرب العربي: جريدة أدبية سياسية اجتماعية وهي لسان حال السبان.
- جريدة الوزير في 21 جويلية 1932.
- جريدة الوزير في 13 جويلية 1933.
- جريدة الصباح، تونس في 12/08/1962.
- جريدة الشعلة عدد 18 في 18 افريل 1950.
- جريدة البصائر العدد 363 في 23 افريل 1954.